الأوطـــان فـــوق المـــزايـــدات!

الرأي
٢٠٠٨/٥/١٨

زينب حفني

أجمل الأوطان، تلك التي تُحلّق الطيور في فضاءاتها بحرية، من دون أن تجزع من بندقية صياد محترف! وأروع الأوطان، تلك التي يفوح من ترابها عبق الاستقرار. لذا فالأوطان لا تخضع للمزايدات، هي فوق المساومات، المنتصر في حربها خاسر، وتركة أوجاعها لا تندثر بل تحفرها ذاكرة التاريخ في أذهان الأجيال المتعاقبة!

هل يكفي أن يُصرّح الإنسان بحب وطنه وهو مستلقٍ في مخدعه؟! هل يكفي أن يتغنى بجماله، ويغدق عليه عبارات الثناء، وهو يمشي في دربه؟! ألا يستلزم الحب تقديم تضحيات في سبيله، حتى تظل رايته مرفرفة فوق الأقبية وعلى أسطح البنايات؟!

كل فرد يعي قيمة وطنه وأنه من دونه يصبح يتيماً! وكل إنسان يحلم بوطن آمن، لذا كل امرئ حبا الله وطنه بالاستقرار، يرفع يديه إلى السماء طليعة كل صبح، شاكراً ربه على نعمة الأمان التي يحيا فيها. نعم الفقر والعوز، مذلة وكرب وشقاء على صاحبه، وكم هو قاس على الإنسان أن ينام في العراء مع أطفاله الصغار من دون أن يجد سقفا يأويه، أو يقف عاجزاً عن سد جوع أسرته وتلبية أبسط مطالبهم الحياتية! لكن الأكثر مرارة، حين يضع الإنسان روحه على كفه كما يقولون، وينام بعيون مفتوحة خوفاً من أن لا يطلع عليه نهار جديد!

الجميع يتطلع بقلوب واجفة، للأحداث التي تجري في غزة التي لم تزل تئن تحت وطأة الحصار. ومروراً بما يقع في أرض العراق من خراب منذ لحظة احتلالها إلى اليوم. ونهاية بما وقع في الأيام الماضية بالبلد الجميل لبنان، حتى ألفت الأنظار على مشاهد الدمار والقتل التي تمر أمامها على شاشات التلفاز، دافعة كل عربي إلى التساؤل في نبرة تشاؤم حيناً، وبنبرة معجونة بالغيرة حيناً آخر. لماذا الأوطان العربية قدرها أن تتعرّض لأطماع ذوي القربى والغرباء على حد سواء؟! لِمَ تنزل على شعوبها كل هذه الأهوال، وتضربها الصواعق القاتلة، في الوقت الذي تنعم بلدان العالم الأخرى بالأمان والاستقرار؟! في أزمة لبنان الأخيرة، تأثرت بكلام عجوز لبناني، وقف يصرخ بأعلى صوته أمام كاميرات التلفاز.. وطني لبنان.. جنسيتي لبناني.. مذهبي لبناني.. طائفتي لبناني. كان صادقاً في عبارته، فلا شيء يزعزع السلام، ويفرّق بين أبناء الشعب الواحد، قدر تأجيج النعرة الطائفية، وإشعال فتيل المذهبية الدينية.

تدمع عيناي كلما وقعت على مشاهد الدمار التي حلّت بأراضينا العربية! فها هم العراقيون الذين عانوا الأمرين من حكم الطاغية صدام، وغدت آلة الموت اليوم تحصد المئات يومياً، حتى أضحى هذا المسلسل الدرامي من صميم حياتهم!

وها هو الشعب الفلسطيني يستعيد بمرارة ذكرى نكبته التي مرت عليها ستة عقود، وبشهود عيان يسردون تفاصيل المجازر التي تعرض لها آباؤهم! ولبنان الذي لا نعرف هو الآخر إلى أي نفق مظلم يسير!

بقع كثيرة في أوطاننا تئن وجعاً، تمشي كسيرة الفؤاد، شعوبها تحلم كل ليلة بكوابيس تقض مضاجعها! هذه الحالة التي وصلنا إليها تعود إلى هشاشة الوعي الثقافي، وإقصاء الشعوب العربية عن المشاركة في صنع القرار داخل أوطانها، وضعف الإرادة السياسية، والسماح لقوى أجنبية خارجية بالتدخل، من دون أن يستوعب الساسة العرب دروس التاريخ جيدا! وأن الحل لا يكمن في فتح الباب أمام الغرباء لحل مشاكلنا، وإنما يكمن في إرساء معالم الديمقراطية الحقيقية، التي ستفرز تباعاً مؤسسات مجتمع مدني حقيقية قادرة على حماية شعوبها، والحرص على نشر ثقافة التعايش بين أبناء الشعب الواحد على أساس المواطنة، وليس على أساس المذهب أو الطائفة. كما يجب تحميل جزء من المسؤولية على النخب الثقافية التي للأسف أخذت أغلبيتها تهرول خلف مصالحها الشخصية، من دون أن تدرك أن دورها الحقيقي ينصب في حماية فكر أبناء مجتمعها.

الأوطان ليست لعبة شطرنج، كل من هب ودب يشترك في تحريك أوصالها، من دون أن يكون لدى المشترك دراية بأصول فن اللعبة!

وأختتم بأبيات جميلة للأديب مصطفى صادق الرافعي:

"بلادي هواها في لساني وفي دمي..
يمجدها قلبي ويدعو لها فمي
.. ولا خير فيمن لا يحب بلاده..
ولا في حليف الحب إن لم يُتيّم".

ضـــد التيـــار... قفـــزة نحـــو المجهـــول

الأهالي
٢٠٠٨/٥/٢١

أمينة النقاش

لعله من المبكر الحكم علي نتائج المغامرة التي قامت بها حركة العدل والمساواة، التي انتهت باقتحام مدينة أم درمان، لاسيما إذا صحت الأنباء التي أعلنها قائد الحركة، بنجاحها في تحطيم القاعدة الجوية في منطقة، وادي سيدنا القريبة من المدينة، والتي طالما اتهمت الحكومة السودانية باستخدامها في طلعات جوية، لضرب الحركات المسلحة في إقليم دارفور.

لم تتوافر الآن تقارير محايدة تؤكد أو تنفي إعلان الحكومة السودانية بأنها تمكنت من القضاء علي هذا التمرد، وأنه أصبح تحت سيطرتها تماما وأنها قتلت من عناصره نحو أربعمائة فرد في مقابل مائة من القوات السودانية النظامية، كما لا توجد أدلة، تؤكد مزاعم زعيم حركة العدل والمساواة الدكتور خليل إبراهيم، بأنه يقود التمرد بنفسه من داخل أم درمان، وأن المواطنين يدعمون تحركه، ويحمون عناصره، خاصة إذا ما كان معظم سكان أم درمان هم من النازحين من دارفور، بعد تفجر العمليات المسلحة التي سادت الإقليم منذ نحو ٥ سنوات، اللهم إذا كان رصد الحكومة السودانية مكافأة قدرها نحو ١٢٥ ألف دولار، لمن يدلي بمعلومات تؤدي إلي اعتقاله، يكفي وحده دليلا علي صحة مزاعمه.

ربما كانت نشأة حركة العدل والمساواة وارتباطاتها الإقليمية والداخلية، وراء الاتهامات التي ساقتها الحكومة السودانية بأن تحركها مدعوم من قوي خارجية، فزعيمها د. خليل إبراهيم كان وزيرا في إحدى الولايات في حكومة عمر البشير، ثم انشق عن الحزب الحاكم في الصراع الذي اندلع على السلطة في صفوف الجهة القومية الإسلامية عام ١٩٩٩ وانضم إلى حزب المؤتمر الشعبي الذي أسسه د. حسن الترابي، قبل أن يتركه، وينشق عن حركة تحرير السودان في دارفور، ليؤسس حركة العدل والمساواة عام ٢٠٠١ لتصبح ثاني كبرى الحركات المسلحة في الإقليم، التي ترفض التوقيع علي اتفاق سلام أبوجا مع الحكومة التي لا تكف منذئذ عن وصفها، بأنها الذراع المسلح لحسن الترابي في دارفور.

قبل ثلاثة أشهر تعرضت العاصمة التشادية انجامينا لهجوم من قوي المعارضة، كاد ينجح في إسقاط الرئيس التشادي إدريس ديبي، لولا مشاركة حركة قوات حركة العدل والمساواة في القتال مع القوات الفرنسية في صد الهجوم الذي اتهمت الحكومة السودانية بدعمه، لهذا كان متوقعا أن تسارع الخرطوم باتهام تشاد بمساندة الهجوم علي أم درمان، ليعيد التذكير بالهجوم الذي شنته أحزاب الجبهة الوطنية انطلاقا من الحدود الليبية ضد نظام نميري عام ١٩٧٦

باعتراف الحكومة السودانية، مازالت بعض قوات حركة العدل والمساواة هاربة وتحمل أسلحة، أي أن زعمها بأنها سيطرت على الموقف يكذبه تصريحاتها عما يجري على أرض المعركة، خاصة أن مدافع الحركة كانت على مرمي حجر من القصر الجمهوري بعد أن أعلنت قيادتها أن الهدف من الهجوم هو إسقاط النظام.

الرؤية لم تتضح بعد، لكن المؤكد أن الأوضاع في الخرطوم بعد هذا التمرد، لن تكون كما كانت قبلها، فقد وجه هذا التمرد ضربة قاصمة لهيبة الدولة، وأثبت قدرته علي هز سلطتها المركزية في قلب العاصمة، حين غافل قواها الأمنية وتحرك مسافات شاسعة بعيدا عن رقابتها حتي يصل إلى عمق الخرطوم لتصبح العاصمة المثلثة في مرمي النيران برغم حالة العسكرة التي تخيم عليها بسبب الحرب الدائرة في غرب السودان.

يشكل هجوم حركة العدل والمساواة مع ذلك ضربة نحو المجهول غير محسوبة النتائج، لأن نظام الإنقاذ مع ارتعاد فرائصه سوف يزداد نزوعه للبطش ، كما أن الهجوم المغامر يعزز موقف دعاة الحلول الأمنية لقضية دارفور وكل المناطق المهمشة في السودان، ويقوي أنصارها علي حساب الدعوة للحلول السياسية التفاوضية.

المشكلة في السودان لن يحلها قطع العلاقات مع تشاد، أو اعتقال الترابي وأنصاره، أو ملاحقة مواطنين أبرياء في العاصمة السودانية لمجرد هجرتهم من دارفور إليها، أو مطالبة المجتمع الدولي باعتبار حركة العدل والمساواة منظمة إرهابية، فقد اثبتت التجربة التاريخية في السودان، أن قضايا التهميش والفقر والعجز عن التنمية، لن تحل بالقوة المسلحة، وأن الدولة الوطنية، لا يمكن حمايتها وضمان استقرارها ألا بحكم ديمقراطي يقوم علي احترام حقوق المواطنة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وعلى علاقة متوازنة بين المؤسسات الحاكمة والمواطنين من دون تمييز أو إقصاء لأحد.

والعودة إلي مائدة الحوار هي الخطوة الأولي لبناء حل سياسي توافقي لقضية دارفور يضم كل الأطراف بما في ذلك حركة العدل والمساواة.

أيـــن هـــو اليســـار العـــربي اليـــوم؟

البيان
٢٠٠٨/٥/١٨

بقلم :فاطمة مسعود المنصوري

بينما كنت أقلب مجموعة من الدوريات العربية ومن بينها دورية فكرية اسمها (فكر) تصدر عن دار فكر للدراسات في باريس والقاهرة، حيث صدر العدد الأول منها عام ١٩٨٣ تفاجأت بما تحمله هذه المجلة من فكر يساري ثوري يهدف إلى مناقشة الأوضاع العربية كقضايا التحرر الوطني وأزمة الفكر العربي وإعادة توزيع الثروات بكل جرأة وموضوعية.

وشعرت وأنا أقرأ افتتاحية المجلة وخاصة في عددها الأول بأنني أمام وهج مشتعل من الكلمات النارية ذات الوقع الحماسي والنضالي، فأخذتني الكلمات بسحرها اليساري الأخاذ إلى عوالم الروايات الأدبية التي كتبها مفكرون وأدباء يساريون، كان لها الفضل في تلقينا الدرس الأول في أدبيات اليسار ومبادئه الإنسانية وقيمه الاجتماعية ورموزه الأبطال ونضالها ضد الظلم والقهر والاستبداد.

كما توالت على ذاكرتي مشاهد من مسيرة النضال العربي سواء ضد الإمبريالية الغربية أو ضد الاستعمار الصهيوني أو ضد رموز الاستبداد والرجعية والتخلف، على الرغم من إننا لم نعاصر تلك الأحداث إلا إننا قرأنا عنها كثيراً، فكأنني وأنا أقرأ افتتاحية هذه المجلة.

أشاهد الرفاق في صفوف المناضلين والثوار يعيشون آلام التهجير والنزوح سواء أكانوا في فلسطين ولبنان، أو يرفعون لافتات كتب عليها بالخط العريض، نعم للحرية للعدالة لا للقهر والظلم، مشاعر كثيرة وكبيرة انتابتني وأنا أقلب في صفحات هذه المجلة، مشاعر بحجم ما كان ينادي به اليسار بجميع أطيافه الأيديولوجية في فترة من فترات تاريخنا العربي في إقرار الحق ومناهضة الاستعمار والتخلف والرجعية.

والحديث عن اليسار في هذه الفترة بالذات هو أكثر الأحاديث المشروعة على الساحة العربية لا سيما ونحن نعيش اليوم ذكرى النكبة الحزينة التي أضاعت فلسطين، فحركة القوميين العرب التي أسسها جورج حبش حيث كانت هذه الحركة ابنة النكبة والبذرة الأولى لولادة الأحزاب اليسارية التي رافقت مسيرة النضال الفلسطيني في جميع أطواره التاريخية، ولا أحد يشكك أبداً فيما قدمه اليسار الفلسطيني من تاريخ نضالي مشرف.

ولكن أين هو اليسار الفلسطيني اليوم من مسرحية الإهانة التي أقامها الكنيست قبل عدة أيام بمباركة من السيد بوش ليعلنوا في فصلها الأخير الهزلي عن أفراحهم بإقامة دولتهم المغتصبة وضياع فلسطين، يحتفل اليهود بإقامة دولتهم بينما الرفاق والإسلاميون ينقسمون ويتقاتلون على من له الأولوية في إدارة وحكم قطاع غزة!

أسئلة مشروعة وضرورة تفرضها حتمية التغيير التاريخي والاجتماعي، لماذا تخلف اليسار عن مبادئه التقدمية والوحدوية اليوم؟ لماذا تخلى عن مبادئه في مواجهة الظلم والفساد؟ لماذا ترك المواجهة لغيره من التيارات وبالذات التيارات الإسلامية التي نجحت في تعبئة الجماهير العربية؟.

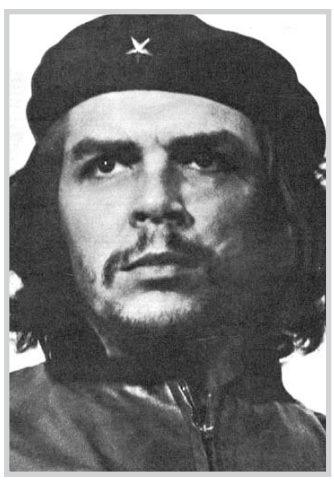

جيفارا

لا أحد ينكر تماماً أن اليسار العربي قد نجح في تحقيق الأهداف التحررية منذ نصف قرن وحقق بعض التطور، لكنه لم يستطع الاستمرار في ذلك، وعلى العكس تماماً فقد تحولت بعض قوى اليسار إلى قوى معيقة، وبعضها ساهم في تدمير طاقات مجتمعية مهمة، وتفكك بعضها الآخر وتهمش، وبات من دون فاعلية أو مقدرة على لعب أي دور.

لا شك أن هناك الكثير من العوامل الداخلية والخارجية التي ساهمت في تشتت وضعف قوى اليسار العربي، لعل من أهمها ارتباط اليسار العربي بتاريخه ورموزه لدرجة تصل إلى القداسة التاريخية، فاليسار مصاب بعقدة اسمها مبادئ ماركس وانجلز ولينين والزعماء الخالدين، والبطولات الخالدة التي حققوا فيها انتصارات عظيمة.

مازال اليسار يعيش ويتغذى على هذه الذكريات، ولم يستطيعوا للأسف أن يقوموا بربط حركاتهم السياسية والاجتماعية ببرامج ومؤسسات حديثة تواكب تطورات القرن الحادي والعشرين. كما لا يزال اليسار العربي يؤمن بخيار المقاومة المسلحة في مواجهة الإمبريالية الأميركية التي تقف على بعد أمتار فقط من السقوط في الهاوية إذا ما أشهر سلاح المقاومة في وجهها.

وقد تناسى هذا اليسار للأسف أن النظام العالمي الجديد الذي تقوده الولايات المتحدة الأميركية متقدم على النظام السابق الذي كان قائماً على توازن الرعب والصراع المسلح بين الجبهتين في كل ساحة، وإنهم بهذا التفكير يخدمون أميركا كما يخدمها بن لادن وشركاؤه ويعطونها المبرر لشن الحروب علينا باسم الإرهاب!.

أنا لا أكتب لكي أقلل من قيمة اليسار العربي، فيكفي انه كان صاحب الفضل في نشر الفكر الإصلاحي والتحرري والتنويري والإنساني، ويكفي أن اليسار هو من يشعل شموع النور عندما تحل الظلمة والجهل، يكفي انه من قاد ثورات التحرر من الاستعمار في فترة من الفترات، يكفي انه من يقف وبكل شجاعة في مواجهة قوى التخلف والرجعية لا يأبه ولا ينافق.

يكفي انه يعيش معاناة الناس يجوع لجوعهم ويتألم لمعاناتهم، ويحزنني كثيراً عندما يتطاول أحد على فترات حكم القوميين والاشتراكيين في الوطن العربي. ولكن هي دعوة صادقة لجميع القوى اليسارية بكافة أطيافها أن تعدل من مبادئها وفلسفتها لكي تتناسب مع معطيات العصر، أن تركز على التغيير الاجتماعي والثقافي، أن تسعى لإيجاد أرضية مشتركة خاصة مع التيارات الإسلامية.

تبقى هناك ملاحظة جديرة بالذكر وتثير الكثير من الأسئلة والاستفهامات، والمتمثلة في اهتمام الشباب في الدولة بصور جيفارا فدائماً ما يلصقون صوره في خلفيات سياراتهم أو يرتدون قبعات تعلوها صوره، وأتساءل بيني وبين نفسي ما الذي يدفع الشباب إلى ذلك، هل بالفعل إعجابهم بسيرة هذا المناضل اليساري الثوري.

أم أن ذلك من دواعي الموضة والترف، وهذه الملاحظة تنسحب على الفكر اليساري، هل سينجح في تجديد نفسه وفرض برامجه التي تتناسب مع طبيعة تفكير العصر الراهن، أم سيظل أصحابه يتغنون فقط بتاريخه وبطولاته وسيصبح الحديث حوله من دواعي الترف الفكري فقط، تماماً كالشباب الذين يعلون من صور جيفارا.

الاتحاد
٢٠٠٨/٥/١٨

ما بعد الدوحة !

صالح قلاب

اغلب الظن ان حوار الدوحة لن يؤدي الى أي نتيجة وان الازمة اللبنانية التي ازدادت تفاقماً بانقلاب حزب الله على ضاحية بيروت الغربية ستدخل نفقاً جديداً فالذين ذهبوا الى العاصمة القطرية هروباً من الواقع الذي استجد بعد هذا الانقلاب، ذهبوا وكل فريق منهم يحمل مواقفه ويحمل تصوراته فـ المعارضون ما زالوا يعتقدون انهم يحاربون التحالف الاميركي - الصهيوني و الموالون ازدادوا اعتقاداً بأنهم المرابطون في خنادق صد الزحف الفارسي القادم من الشرق تحت رايات حزب الله وبيارق الممانعة!!.

لا شيء متوقعاً على الاطلاق، اللهم الا اذا وقعت معجزة، فحزب الله ذهب الى الدوحة وهو يعتقد انه ذهب ومعه الديكور الطائفي الذي وظيفته ابعاد التهمة الطائفية لتحقيق انتصار سياسي لم يستطع تحقيقه بالاغارة على شوارع بيروت الغربية وتحالف الرابع عشر من اذار ذهب وهو عاقد العزم على استثمار الهزيمة السياسية، الداخلية والخارجية، التي لحقت بهذا الحزب لنزع صفة المقاومة عنه وفتح ملف اسلحته وفقاً للقرارات الدولية المتعلقة بهذا الشأن.

لقد حملت اللجنة العربية الى حوارات ومفاوضات الدوحة جدول اعمال ملتبساً يفسره كل طرف من الطرفين المتخاصمين بما يتلاءم مع وجهة نظره ورئاسة هذه اللجنة كانت قد انتدبت نفسها لهذه المهمة سعياً وراء مجد شخصي وبهدف ان ترث العاصمة القطرية منجزات الطائف وأن تتكرس كرقم اساسي في المعادلة العربية والاقليمية.

سيتحاور المتحاورون طويلا بشأن هل أن الدجاجة خُلقت قبل البيضة ام ان البيضة خُلقت قبل الدجاجة هل ان الاتفاق على حكومة الوحدة الوطنية يجب ان يكون قبل انتخاب رئيس الجمهورية ام بعده وهل ان تحديد موقف من سلاح حزب الله الذي يسميه سمير جعجع علاقة هذا الحزب بالدوحة اللبنانية سيكون قبل تحديد موقف من قانون الانتخابات الذي يجري الحديث عنه والمدرج على جدول اعمال المتفاوضين ام بعد ذلك..

انها لوحة متداخلة الالوان وشديدة التعقيد وان خطاط الممانعة لا يمكن ان يقبل بصيغة لا غالب ولا مغلوب التي كان صائب سلام، رحمه الله، قد جعلها عنوانا لمرحلة ما بعد حرب العام ١٩٥٨ الاهلية برغم ان الغلبة كانت لحلفه الذي كان يمثل امتدادات الرئيس عبدالناصر على الساحة اللبنانية.

لم يستطع حزب الله ان يُحقق اهداف الانقلاب الدموي الذي اريد له ان يكون حرباً خاطفة وصاعقة يتم استثمار انجازاتها السياسية على الفور: اولا، اسقاط حكومة السنيورة ثانيا، تدمير تحالف الرابع عشر من اذار وتشتيت قياداته وتصفية بعضهم جسديا ثالثا، انتخاب ميشيل عون رئيسا للجمهورية واختيار احد إمعات الطائفة السنية ليشكل حكومة رئيسها الفعلي حسن نصرالله ثم بعد ذلك اجراء انتخابات كانتخابات مرحلة الامن المستعار وكل هذا ليصبح لبنان قاعدة متقدمة للمشروع الاقليمي الايراني الذي تسعى طهران لتمريره تحت غطاء دخان كذبة الممانعة والمقاومة.

هناك ثلاثة اسباب لفشل انقلاب حسن نصرالله، الذي بدأ ببيروت الغربية لأنها تعتبر الخاصرة العسكرية الضعيفة والرقيقة، وهذه الاسباب هي:.

اولاً: ان حكومة فؤاد السنيورة لم تتصدع وان رئيسها لم يبادر الى الاستقالة وان قادة الرابع عشر من اذار لم يهربوا الى الخارج فجأة بجلودهم كما توقع اصحاب الانقلاب والذين اداروهم من الخارج والذين نطق باسمهم المدعو وئام وهاب الذي في ذروة النشوة بالانتصار على بيروت الغربية دعا الجيش الى اجتياح مقر رئاسة الوزراء وانتزاع رئيس الحكومة من موقعه وحل حكومته.

ثانياً، ان الدروز والمسيحيين غلبوا الانتماء الطائفي على الالتزام السياسي وانهم خوفاً على مناطقهم من ان تُصاب بما اصيبت به خلال الحرب الاهلية الاخيرة اتفقوا، معارضة وموالاة، على تحييد هذه المناطق وافشال مخطط جرها الى الاقتتال بعد الاغارة الخاطفة على بيروت الغربية وعلى ما كاد ان يحدث في جبل لبنان وفي منطقة الشوف لولا ان تم تداركه في اللحظات الاخيرة.

ثالثاً، ان الشارع العربي والاسلامي، باستثناء بعض الاصوات المبحوحة والابواق المأجورة، وقف ضد اجتياح بيروت الغربية واهانة اهلها والاعتداء على كراماتهم باسم مواجهة الحلف الصهيوني - الاميركي..

ولهذا، ولأن هذا المخطط قد فشل ولأنه أفشل، فان المؤكد ان اصحابه الحقيقيين ان هم لن يستطيعوا تحقيق ما لم يستطيعوا تحقيقه بالسلاح من خلال الدوحة ومفاوضاتها فانهم سيدفعون لبنان الى جولة جديدة قد تكون هي بداية الحرب الأهلية التي نسأل الله ان لا تكون.